الوعي الأنثويّ وانتكاسة المنظومة الثقافية في روايتي "امرأة لا تجيء" و"عازب حي المرجان"؛ مقاربة نفسية موضوعاتية

Female Consciousness and the Setback of the Cultural System in "a Woman does not Come" and "a Celibate of Elmordjane City" Novels; A Psychological Objective Approach

د. مصطفى ولد يوسف

جامعة أكلي محند أولحاج – البويرة (الجزائر)

ouldyoucefmustapha@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/09/07 **تاريخ القبول: 2020/09/19**

ملخص:

تحاول الرّوايتان "امرأة لا تجيء" لغنية كبير و"عازب حي المرجان" لربيعة جلطي، استجلاء مدى العقم الثقافي والمواطنيّ لدى النّخبة المثقفة السّاحقة، واستمرار منظومة القمع الذكوري في ظلّ المثقف الإقطاعي الذي يمثل الخط الأفقي لها. وبالمقابل تتجلى هزائميّة المثقّف الهامشيّ المأزوم وجوديا، الذي يمثل خطّها العموديّ، وبالتّالي تستقرئ الرّوايتان معطى البؤس المعرفي في ظل انحدارية مخيفة للمشهد النّخبوي إلى درجة السّوقية والتّمييعّية، التي تحول دون وثبة المواطنة الحقة والوعي المعرفيّ، عبر الكتابة النّسائية الملتزمة والسّاخطة على الوعي النخبوي المؤكلس.

الكلمات المفتاحية: الوعي الأنثوي، المثقف الإقطاعي، المواطنة.

***Abstract*:**

The two novels *'a woman does not come'* of Ghania Kebir and *' a celibate of Elmordjane city'* of Rabiaa Djalti tend to show the extent of cultural sterility and the absence of citizenship in the overwhelming majority of the cultured elite, and the continuity of male suppression system under the umbrella of cultured feudal that represents its horizontal line. On the other side, the failure of the marginalized

cultured and the existentially troubled is manifested, and that represents its vertical line. Hence, the two novels highlight the knowledge misery datum, under a terrifying decline of the elitist act to the level of vulgarity and dilution that stands against the genuine citizenship jump and the cultural awareness, through a committed female writing that is outraged against the limed elitist awareness.

Keywords: female consciousness, feudal cultured, citizenship.

1– سرد الهامشيّ وانهيار قيم النّخبة:

لا يمكن لأيّ دارس أن يلمّ بعالم الرّواية دون العودة إلى محيطه الثقافي والاجتماعي لأنّه يستجيب لأرضية الواقع المتعددة الأبعاد، يمتزج فيها السُسيوُ بالثّقافي، والسّيكو بالوعي التّاريخي، وبالحاضر المستغرق في متاهات العصرنة وتجاذبات القيم السّاعية إلى تجاوز المعطى الحداثي المتسم بالمادية المتوحشة، فتحولت القيم الثقافية والإنسانية إلى مكون هامشي، مما حذا بظهور أنماط فكرية وسلوكية تؤسس للانحطاط المعرفي وحتى السلوكيّ؛ وتمجيد التّفكير الانتهازي العقيم، فتمخّض عن ذلك ظهور الاقطاعية الثّقافية التي تحتكر المعرفة لتحقيق مآرب المثقف الاقطاعي المصنف في تعامله القهري في خانة السّلبيّ والمتواطئ مع خطاب الانتهازية الرّافض لكل نهضة صحيحة، يثني على المتفوّق وينتقد الفاشل.

في رواية "امرأة لا تجيء" صورة مكشوفة للمثقف الإقطاعي، حيث يصنع الأستاذ الجامعي مجدا زائفا، وفق منظور نرجسيّ غير محمود العواقب، ليس له علاقة بالرّجل التّقليدي الذي يمثل الاقتداء، الذي هو نتاج المجتمع المحافظ والمقيّد للمرأة عبر محظورات حريميّة حرمتها من ممارسة فعل المعرفة[1] ولا بالرّجل الحداثيّ المتشبع بقيم المواطنة؛ بذلك يتلاشى المحظور الحريمي ويستباح بممارسة القهر المعرفي الذي حلّ محلّ المنع المعرفيّ، الذي كان تقليدا في المجتمع المحافظ: «كان أستاذا جامعيا في الستين من العمر، تعرفت به في أحد الملتقيات الوطنية ... وهو يلاحق موظفة بالجامعة ... اتجهت إليه وحيته بنظرات بريئة ... التفت إليها وبعدها نسي الأخرى ... كادت نظراته تلتهمها ... فعيناه تتجولان في تضاريس جسمها...»[2] فأنتج هذا الوصف تركيبة سلوكية ذكورية شاذة بعيدة عن وقارية

المثقف باعتباره مدافعا عن المسألة الأنثويّة في الغالب، وبالتّالي استمرت النظرة الاستعلائية تجاه المرأة عبر القهر المعرفي، حيث يمارس الأستاذ الجامعي–بعيدا عن التّعميم– سلطة التّفوق العلميّ كمعادل موضوعي لسلطة الذّكورة التي ترسخت في لاوعي الرّجل الذي تربى في محيط لا يساعد على الانعتاق من الموروث المصاحب للنظرة الدونية للمرأة: «الواضح أنه لم يكن رجلا يشعر بالضعف تجاه الفتيات...لأنه واثق من حنكته في إغرائهن...وهذا طبع كثير من الأكاديميين الذين يدخرون كل المفردات الحلوة للطالبات والأستاذات...»[3].

تجلت الأبعاد الإقطاعية في الرّواية من خلال اكتساب الآخر عبر احتكار المعرفة بدل احتكار الأرض كما هو معروف في عصر الإقطاعية، فكان الفعل الإغرائي المتسم بالتّمويهية للوصول إلى الملكية المطلقة للجسد: «افترقا على ابتسامته المحتالة التي تعد بأشياء غامضة»[4].

لقد اتسع ذلك الإدراك بالتفوق العلمي إلى سلطة القرار الإداري، حيث أبدعت أشكالا جديدة من الهيمنة؛ تبدو السّاردة متشنجة، وهي تسرد تفاصيلها: «بحثت ... عن مكتب نائب العميد المكلف بالدّراسات العليا فدلها عليه أحد الدكاترة الذي أصر على اصطحابها إليه ... دخل المكتب مبتسما ... تمتم له بأن شابة جميلة جدا وافقة ... جاءها يبتسم ... كان مرتبكا ... وعاد إليه ذلك الخبث الرجالي الأول .. جلس بجوارها ..فهمت بأنه أستاذ جامعي مريض يحمل عقد معلم الابتدائي الذي تغير حاله عندما أكمل دراساته العليا..»[5].

تظهر هذه الفقرة مدى هشاشة المثقف الإقطاعي في تشكيل ذاته غير السّوية، فقد وظّف العناصر الجاذبية من مكتب وأثاث أو ما يسمى "المرئي le visible" لتعطيل الضمير الأخلاقي: «جلس بجوارها على الأريكة الفخمة...سألها:

– أعجبك ديكور المكتب؟؟

أجابته وهي تتجول بعينيها في مكتبه:

– نعم لا بأس به»[6].

استمرت الرّواية في رسم الأنموذج السّلبي للمثقف الإقطاعي، وهو يؤطر أحداثها فأصبح علامة على التّعيين الذكوري، في ظلّ غياب الاستعداد للمواطنة الثقافية التي تقبل بخطاب المعرفة والسّيادة العلمية، وتعادي الرّهاب الذكوري في علاقته بالفضاء الأنثوي حيث مازال التّنشيط البدائي للذهنية الرّجالية الرّجعية الرافضة لكل استجابة لحضور المرأة كرفيق علمي أو معرفي؛ في ظل تعاطي الرّجل للإرث الذكوري كفضاء نوستالجي "espace nostalgique" لا أثر لصوت المرأة إلاّ للمتعة والاستغلال الجنسيّ: «الحب تلك العاطفة الإنسانية النبيلة التي مات من قوتها الإنسان العربي القديم صار المثقف المعاصر يستخدمها كتأشيرة لدخول حياة شابة بريئة سيستثمر وضعها ليشوه براءتها وطهرها فتصبح مجرد ساقطة مثله»[7].

ارتكزت الرّواية على الكون السّردي المجسد في التّحليل السّلوكي حيث تمارس السّاردة تحليلا نفسيا على شخصية المثقف الإقطاعيّ ليصبح موضوعا للتّحليل بدل الاكتفاء بالعرض السّيري لها[8]، فتنتقل بنا من الاهتمام بالذّات إلى الاهتمام بالسّلوك: «لم أتخيل أنّ نائب العميد الذي يغري الطالبات بالدراسات العليا هو معلم الابتدائي نفسه الذي شوه براءتنا ذات مرحلة أكمل دراساته العليا، وأصبح أستاذا جامعيا، تقدم في المراتب لكنه لم يرتق أخلاقيا ظل الإنسان الذي لا مبادئ له ولا قيم ولا إنسانية...»[9].

لقد احتفظ المثقف الإقطاعي بكل طاقته السّلبية لتحقيق رغباته المشبوهة، انطلاقا من قدرته الهائلة في المناورة التي هي طبيعة فيه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى حالة الاستلاب التي يجد فيها ضحاياه: «كنت أتأمله حين كان يطلب منا أن نضع رؤوسنا على الطاولة وأن نصمت أو ننام، يخرج للفناء يشرب القهوة مع زملائه وزميلاته يضحكون ويتبادلون النظرات الخبيثة أمّا نحن فعلينا وضع الرأس على الطاولة والصمت ... وقبول الانكسار دون مقاومة»[10].

عبر هذا المقطع تحددت هوية الضّحيّة، وهو دال يختزل حالة القهر، ويؤنّث مسار وعي السّاردة المصدوم، وهي مطلوبة بأن تتحمّل حتمية الخضوع بشتى الوسائل، ففي عمر

الزهور والطفولة يتم القمع عبر التّرهيب أو ما أسميه "الرّهاب المدرسي": «لم أفهم يوما لماذا تشابه المعلمون في زلاتهم وتواطؤوا على أن يشوهوا صفاءنا، ويحولوا الاندفاع الذي ولدنا به إلى خوف من المدير، ومن العصا التي تعمد معلمي كل صباح أن يدخل بها القسم»[11] فيتحول الرهاب المدرسي في الكبر إلى ترهين الشّرف من أجل تجاوز الوضع النّرجسي للمثقف الإقطاعي المشلول إنسانيا، فيكون فعل التقمص آلية قد تحقق المبتغى وفي المقابل ينهار الإحساس بالذات في غياب السّند الإقناعيّ الضّروري في كل ذات معتزة بنفسها.

إنّ روعة الإحساس بالّسلطة كفيل بتوفيق الإحساس بالدناسة واحتقار الذات في لحظة خضوع الآخر/الضحية: «..ساهم هو وأمثاله في خلق كل التناقضات التي نعيشها هو ببساطة نموذج عن دناءة الإنسان وأنا أتوقع منه كل شيء»[12].

في ظل علاقة الهيمنة التي تأسست على العنصر البيولوجي باعتبار الضحية أنثى، ومن ثمّة كان الاستحواذ على الفضاء المعرفي كاستمرارية طبيعية للعقلية الذّكورية التي لم تتخلص بعد من الاستغلال المفضوح لآليات القمع النّفسيّ التي كانت مشروعا أبدياً للرّجل المتخندق في رجعية مكيّفة لتستجيب للرّاهن أو الحاضر الديناميكي، حيث الطليعية مكسب له، على الرغم من الوجوه المنتمية للزّمن البائد التي تناور عبثا لإحلال المبادئ الرّجعيّة المتعارضة لانفتاح الوعي على المواطنة: «...عندما يخطفني الشرود إلى عوالم الذكريات وأعود إلى أيام الابتدائية وسلوكيات المعلم الخاطئة، أفهم لماذا وجد الأستاذ الجامعي الذي يبتر طالبة ... والطبيب الذي يستغل مريضة تعالج عنده ... وأتفهم ضعف المسؤول ... ليعدد العشيقات كلهن صنيع المعلم ...»[13].

إنّنا أمام سيكولوجية الرّفض الكلي للوضع الذكورة الجديدة التي تشّيد مجدها معرفيا ومن ثمة انتقلت من منظور تقليدي إلى منظور معرفي في ظاهره، ولكنّه امتداد للتقليدي في باطنه، فيبقى المقدس أو القدسي "الذكر" سيد الفضاء الاجتماعي والثقافي ويبقى الهامشي "الأنثى" خارج لعبة المعركة الوجودية، فكان اصطناع الفضاء للمرأة كتمويه ذكوري لبث

روحا جديدة في جسد المجتمع التائه بين استمرارية المخزون الثقافي المقصيّ للمرأة كذات مستقلة، وإحلال العلاقة المواطنيّة محل العلاقة الأبوية التي تجتهد في ابتكار آليات استمرارها.

إذا كانت السّاردة في رواية "امرأة لا تجيء" تتهم المعلم بوصفه صنيع الذكورة، فإنّ في رواية "عازب حي المرجان" رؤية أخرى بعيدة عن المثقف الإقطاعي، وبالمقابل تتجه الرواية إلى تبني رؤية جديدة تجاه المعلم عبر تقديمه ككائن مثالي نمطي السلوك لا يصنع الاستثناء الثقافي أو الاجتماعي، فعبر شخصية "الزبير كروفيت" نتعرف على حالة غير معزولة للكائن الهامشي، حيث يبدو من خلال البورتريه الجسدي أنّه أنموذج إنساني منحط مورفولوجيا: «أمي هي الإنسانة الوحيدة التي لا أشعر بالحرج حيالها حين تضع كفها على رأسي الضخم أو حين تعانق جسدي الضئيل المشوه ... أعانقها بحرارة دون الخوف من أنها ستشمئز من بشاعة صورتي»[14] إنّه تمثيل حي للدونيّة في مقابل النرجسية للمثقف الاقطاعي في رواية "امرأة لا تجيء".

أمّا البورتريه القيمي "le portrait des valeurs" فهو مستخلص من المبادئ التي يؤمن بها: «...نصف راتبي الشهري أصرفه في شراء الكتب ... الكتب ضروريات أيضا...»[15] وفي موضع آخر نجد قول صديقه: «.. الناس هنا لا تقرأ يالزبير..هذا العصر ليس عصر القراءة ولا عصر الكتب والروايات ... عصر القراءة ودعه العالم يا رجل .. عصر الأخلاق والمروءة والشهامة والفروسية الذي نقرأ عنه كل يوم، ونغرق فيه، وتؤمن به انتهى مهنة المعلم الآن لا تجلب سوى الفقر والإهانة والمهانة والشفقة. ثم الموت..»[16].

إذا كانت صورة المعلم في "امرأة لا يجيء" قاتمة نلتقط فيها كل ما هو دنيء ومدنس، فإنّها في "عازب حي المرجان" علامة استدلالية على العجز في مسايرة الحاضر والاكتفاء بتلقي الهزائم على أكثر من مستوى، والعيش في شرعية زائفة، تتحول الأمنية إلى رصيد عاطفي، والكتب إلى نشاط فتيشي "Fétichiste" «...الكتب أصبحت كثيرة ومتراكمة حتى في الشقة الأخرى التي ورثتها عن المرحومين ... انظر بحنان إلى تراكم كتبي المتزايدة حولي في كل مكان من الشقة...»[17] ويتسع هذا النشاط الفتيشي إلى الصّور:

«كثرت صور الجميلات حتى لم يعد هناك مكان أبيض من جدران الصالون خال من وجه جميل ... تحت كل صورة كتبت اسم صاحبتها بعناية ... ثم من قال إني عازب؟! الصالون بحر متلاطم بالنساء الجميلات أقصده بعد أن أنهي واجبي ...»[18].

تنبثق شخصية "الزبير كروفيت" وسط عزلة كانت بمثابة دائرة مغلقة حالت دون التواصل الطبيعي بالآخرين، نتيجة الإحساس بالنقص تجلى عبر الضرر النفسي في تقييم الذّات، ومن ثمة التقليل من شأنها، وهي علامة من علامات الانقباض أو الاكتئاب المرضيّ المزمن "depression mélancolique"[19] فسعت للخروج من هذا الاحساس بالدونية إلى إجراء عملية تعويض عن العجز الهوياتيّ بينها وبين شخصية "عباس" لأنّها ترى في ذاتها العجز والفشل، وفي الأخرى النجاح والاقتدار وبالتالي تحقق الاستلاب الذاتي: «آه...يعود عباس...ياله من إحساس رائع لرؤيته...أضحى يشغل أكثر فأكثر مكان الأخ الأكبر في حياتي وكياني مع أننا متقاربان في السن...أحس أنه أكبر مني بجيلين لا شك بسبب شخصيته القوية وتجاربه الكبيرة في الحياة..عباس لا يعرف الخوف ولا التردد...»[20].

تنسحب شخصية "الزبير كروفيت" بتعاظم شخصية عباس "la dépersonnalisation" فتصبح تابعة لها للتخفيف من وطأة الانزعاج النفسي، فتتحقق التبعية النفسية تحت تأثير عباس الشّخصية المكتملة: «مهما فعل لن أغضب منه...كيف لي أن أغضب منه؟ تذكرت ونحن تلاميذ كيف كان عباس يدافع عني ...إنّه دوما حماسي وقوتي..إنّه عباس أخي الكبير..»[21].

لقد تأسست العلاقة بين الزبير كروفيت وعباس على مفهوم الصداقة المثالية مطوقة بهالة غير طبيعية تنم عن قصور في النضج النّفسي عند "الزبير" فاقدا لشخصيته بفعل مضاعفة الإحساس بالدونية أمام "عباس"، ومن ثمة تضررت الصّورة الذاتية في غياب المقاومة، وهي صورة المثقف المستلب العاجز عن التواصل بالآخرين، يعيش أكثر من تصدع نفسي وعاطفي وثقافي، فيفضي ذلك إلى ترسيخ مسار الانكسار دون مواجهة: «أنا لا أريد أن أحمل أحدا أتعاب الذاكرة كما حمّلاني إياها والدي...لا أريد أن آتي بالأطفال إلى

هذا العالم الذي يسوده الإرهاب والقتل الجماعي...أريد لي حين تنتهي مدتي على الأرض..أن تسافر روحي حرة..أنا قريب من رؤية الشاعر والفيلسوف العربي القديم "أبي العلاء المعري"»[22].

إن شخصية "الزبير" رمز للمثقف المتنصل عن إنجاز المهام الثقافية والتوعوية، لأنه لم يترب على الاستحقاقات الوطنية والاجتماعية والفكرية، فكان السقوط في محكي الهامشي المخير لا المفروض، ومن ثمة كل المتواليات السلوكية والفكرية تصب في رؤية تشاؤمية، تشهد على تجربة الهزيمة دون مواجهة.

أمّا في رواية "امرأة لا تجيء" فقد تأسست العلاقة بين الأستاذ الجامعي والطّالبة على مفهوم الجنس وإن تنوعت الطرائق في صياغة الهدف المنشود: «...تجربتي مع الدكتور الذي مازلت تقولين له: «معلمي» جعلني أفهم أن هناك من يعامل الطالبة على أنها عاهرة... فمن خلال الملتقيات...تراهم (أي الكتاب) يتكالبون على البنات...يغرقنهن في أحلام الشهرة والنجاح...فيجعلون من المتلقي الأكاديمي ملتقى حميميا...»[23].

إننا أمام أنموذجين من المثقفين، المثقف الإقطاعي المجسد في شخصية الأستاذ الجامعي يسعى إلى إعادة ماضيه الشبابي بإيعاز من النّوستلجيّة أو الحنينيّة "nostalgique": «كان أستاذا جامعيا في الستين من العمر ... أخذ يتكلم عن نفسه، شهاداته والمناصب التي تقلدها.. والكتب التي ألفها، وأسفاره للسياحة وكل ميزاته التي يبدو بها وسيما لطالبة في الثانية والعشرين مادام لم يبق له شيء من ميزات الشباب» [24].

والمثقف السّلبي الذي ينهل من أكثر من منهل ثقافي ومعرفي ولا يستمر ذلك في اتخاذ موقف ما تجاه محيطه أو قضية مصيرية، فاقتصر وجوده على بناء منظومة حلمية فاقدة للنجاعة، وهو يتتبع المنحنيات الإيجابية لصديقه "عباس"، وبالتالي بدأ عنصرا ميتا في معادلة فرض الذات التي تعدد حضورها السلبي، فكان مجموع حياته متحفا تراجيديا لمسلسل العذاب النفسي الذي انتهى بالموت الحقيقي «يسقط الزبير على الأرض هامدا...عيونه شاخصة نحو اللامتناهي»[25].

2- في غياب المثقف البصير:

في الرّوايتين استجلاء للـمثقف المأزوم نفسـيا ووجوديا، فالمعرفي لا يكفي لبناء الإنسان البصير homme clair voyant، وإنّما يستدعي الذات المتأصلة والمناضلة التي تتسم بطبيعة فلسفية وجدلية، وذات منحى تضحياتي، فالمثقف الإقطاعي ذو منزع تسلطي، بارع التمويه والادعاء، لا يستجيب إلاّ لأسئلة الشهوة كما يظهر في رواية "امرأة لا تجيء"، والمكتسب لديه تأمين مصادر الإشباع الجسدي ونرجسيته المتعاظمة أمام الضعفاء في الحين المثقف الانتهازي يستنزف طاقته في أوعية التذلل والتملق الكلامي والمنافقة. أمّا المثقف السلبي أو الهامشي فلا صوت له، لأنه أراد ذلك، أسير حدوده الضيقة، حيث يشكل الإحساس بالنقص والانهزامية مساره الانحداري، فيصبح الكون الذاتي مركز عالمه، وموطن شقائه، لأنّه يفتقد للنضج الاجتماعي، على الرغم من وعيه المعرفي، وبالتالي فالعلاقة مع الآخر غير جدلية وإنّما حتمية طبيعية، لا مجال لتغييرها كما هو الشّأن في رواية "عازب حي المرجان" بين الزبير وعباس، وتنم عن ضعف الشخصية فالمثقف السلبي المجسد في شخصية الزبير مسكون بالقهر والعزلة وإقصاء الذات طوعا وهذه الطبيعة الانغلاقية مفتوحة على الهذيان والوسواس المرضي، تجلى في الحوارات الداخلية التي قدمت صورة مهزوزة للزبير: «...من قال إني عازب؟ الصالون بحر متلاطم بالنساء الجميلات أقصده بعد أن أنهي واجباتي، أدخل غليه للمتعة والمغامرة...إنه ملهاي يكفي أن أجلس قبالة صورة لحسناء ما، حتى أشعر بحضورها الأنثوي الجبار...»[26].

هذه الطبيعة الهذيانية "nature délirante" تنسم عن تشطط الذات عن الواقع "déréel" وانقطاع اجتماعي لا يساعد على احتلال الفضاء السسيو ثقافي والمجابهة بالمقابل الطبيعة الانفتاحية لشخصية الأستاذ الجامعي التي لا تؤشر بالضرورة على احتضان الآخر ثقافيا واجتماعيا أو سياسيا، وإنّما استغلاله عاطفيا وجسديا «الواضح أنه لم يكن رجلا يشعر بضعف...لأنه واثق من حنكته في إغرائهن وجرهن إلى الإعجاب المزيف به...»[27].

إذا كان المعلم في رواية "امرأة لا تجيء" ذا صورة قاتمة ما لبث ارتقى علميا ليصبح أستاذا جامعيا، مع هزالة رصيده الأخلاقي، وينذر بشيوع المثقف الإقطاعي، حيث تحقق له سلطة المعرفة أو الشهادة ممارسة القهر النفسي باعتبار الآخر ملكية مطلقة له، فإن المعلم في رواية "عازب حي المرجان" امتداد للهامشي الذي يأبى أن يتحول إلى مركز استقطاب الآخر الذي يتوق إلى المعرفة للنهوض بوعيه الاجتماعي والسياسي والأخلاقي، في ظل تنامي ثقافة الخراب وانهيار القيم، وكلا الأنموذجين لا يؤسسان لمجتمع تنويري يقوم على المواطنة، فتلتقي الأنوثة المضطهدة بالمثقف السلبي في القهر المعرفي.

خاتمة:

لا ريب أن الرّوايتين تؤسسان لمنظور يستنفر الرأي العام حول انكماش دور المثقف الذي انحصر في تلبية حاجاته الخاصة، وبالتالي الاشتغال على ذاته الضيقة أو الانعزال فكانت رواية "امرأة لا تجيء" كتابة شديدة الانتقاد للمثقف الاقطاعي، تكشف المسكوت عنه، مستقصيّة القهر الذكوريّ على المرأة، وهذه المرة وسط محيط أكاديمي هو الأجدر بتحقيق مبادئ المواطنة، ولكن باستباق الذكورية التقليدية على المعرفة يتواصل نزيف القيم وتنحط العلاقات بين المرأة والرجل، فتنشأ معاناة جديدة للمرأة تقوم على الابتزاز، فرسمت الرّوائية مستقبلا قاتما للمجتمع الذي يشجع التّواصل النّفاقي وإن أغالت في توصيفاتها باعتبار أنّ هناك كيانات ثقافية نزيهة تؤمن بالمشروع المواطني فكرا وسلوكا.

أمّا في رواية "عازب حي المرجان" فقد تخلّى المثقف عن الاستحقاق الثقافي والتّوعوي، مكتفيا بتقوية تَهشيم ذاته والعيش خارج دائرة الصدقية، فكان امتهان الإذلال علامة على سقوطه في تبعية مطلقة للأعلى، والأكمل صاحب النفوذ والكلمة الأخيرة وبالتالي فهو كائن محتجز في عالمه الهذياني، عاجز عن إدارة حياته فما بالك بإدارة المجتمع.

يترك العملان انطباعا بأنّ المثقف الجزائري يعاني نوبات نفسية غير مصرح بها فاقدًا للنضج الجدلي، يتقن باقتدار المناورة والتباكي على حاله، ويرضى بوضعه الهامشي، ولكنه يترصد الفرص لتحقيق مآربه الخاصة، وبالمقابل يبقى المجتمع بلا قيادة فعلية فيصبح مرتعا لكل ما هو رجعي ومتخلف، وطبعا نستثني فئة من المثقفين الذين يقدمون صورة مشرقة في زمن تدهورت فيه كل أشكال القيم.

ليس بطلا من يبتز الضّعيف أو الأدنى منه، والمتعلق في عوالم أحلام اليقظة، وإنّما البطل من يتجاوز ذاته ليتحصن شقاء المجتمع، ويبحث عن حلول لإعادة إنتاجه وفق منظومة قيمية جديدة ومستمرة لا تتعارض مع كرامة الإنسان بعيدا عن إشباع الرغبة الآنية والأفكار المشوهة.

الإحالات والهوامش

(1)– ينظر: ميسون صلاح الدين الجرف، بناء الصورة الشخصية الذكورية في الرواية العربية السورية أفكار للدراسات والنشر، صفحات للدراسات سورية، ط1، 2014، ص73.

(2)– غنية كبير، امرأة لا تجئ، منشورات الوطن اليوم، الجزائر، ط1، 2017، ص 8، 9، 10.

(3)– الرواية، ص10.

(4)– م. نفسه، ص11.

(5)– م. نفسه، ص16، 18، 19.

(6)– الرواية، ص18.

(7)– م. نفسه، ص23.

(8)– ينظر: جان بيلمان نوبل، التحليل النفسي للأدب، تر: حسن المودن، كنوز المعرفة، عمان، الأردن ط1، 2018، ص8.

(9)– الرواية، ص48.

(10)– الرواية، ص56.

(11)– م. نفسه، ص54.

(12)– م. نفسه، ص76.

(13)– الرواية، ص75.

(14)– ربيعة جلطي، عازب حي المرجان، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2016، ص19.

(15)– المصدر نفسه، ص123.

(16)– م نفسه، ص132–133.

(17)– م. ن، ص 125–126.

(18)– ربيعة جلطي، عازب حي المرجان، ص140، 141.

(19)– Sylvie Angel, le petit larousse de la psychologie, paris, France, 2eme édition, 2016, p669.

(20)– ربيعة جلطي، عازب حي المرجان، ص30، 31.

(21)– المصدر نفسه، ص110–113.

(22)– ربيعة جلطي، عازب حي المرجان، ص157–158.

(23)– امرأة لا تجيء، ص84، 85.

(24)– م. نفسه، ص8–10.

(25)– عازب حي المرجان، ص219–220.

(26)– عازب حي المرجان، ص141.

(27)– امرأة لا تجي، ص10.